مقياس: التطبيق الصّرفي

السنة: أولى ماستر

التخصص: أدب عربي

الفوج: الثاني

أ. آيت الجودي

الدرس الأول: نشأة علم الصّرف

للغة العربية أصولٌ وقواعد ثابتة ينبني عليها الكلام، ويعدّ علم الصرف من بين أهم هذه الضوابط التي بها يُصان اللسان من الوقوع في الخطأ في إنتاج الكلم، لأنه يعد الأساس في صياغة الكلمات وتحويل اشتقاقاتها على الوجه السليم، يقول ابن عصفور الإشبيلي: وهو (علم الصرف) علمٌ شريف لاحتياجِ جميع المشتغلين بالعربية، من نحويّ ولغوي، إليه أيما احتياج لأنه ميزان العربية.

1-تعريف الصّرف:

لغة:

الصّرف أو التّصريف مصدر مشتق من الجذر (ص ر ف)، يقول ابن منظور: وهو مأخوذ من صَرفه يصْرفه صَرفا، ويفيد معانٍ عدة أبرزها التّحويل:

- الإنفاق: صَرَفَ الدّراهم.
- الفضل: لهذا صرفٌ على هذا.
- التّبديل: صَرَف النّقد بمثله.
- التّحويل والتّغيير: تصريف الرّياح.

اصطلاحا:

أما اصطلاحا، فهو الآخر لا يبتعد كثيرا عن المعنى اللغوي، فيُقصد به تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعانٍ مقصودة، بحيث لا تحصل تلك المعاني إلا بذلك التغيير، أو هو تحويل الكلمة إلى أبنية مختلفة لمعانٍ مقصودة لا تحصل إلا بها، يقول سيبويه: هو بناء ما لم

تنطق به العرب على مثال ما نطقت به، كعملية تحويل المصدر إلى كل من الفعل واسم الفاعل واسم المفعول مثال:

عِلْمٌ ⟷ عَلِمَ

عِلْمٌ ⟷ عَالِمٌ

عِلْمٌ ⟷ مَعْلُومٌ

أما علم الصّرف أو علم التّصريف فهو العلمُ الذي يُبحَثُ فيه عن أحكام بنية الكلمة العربية، فيعالج تغيراتها وتحولاتها الذاتية وما يستدعيه ذلك من معرفة بالقوانين التي تمكن من إنتاج الكلم ومن تفسير هذه التغيرات، أما حديثا فيعرف بأنه العلم الذي يبحث في الوحدات الصرفية (المورفيمات) وهي أجزاء الكلمات ذات المعاني الصرفية، كما يُعنى بأجناس هذه الصيغ كالإفراد والجمع والتثنية والتذكير والتأنيث.

يُقسم الصرف إلى قسمين: أحدهما جعلُ الكلمة على صيغ مختلفة، لضروب من المعاني، نحو ضَرَبَ، ضرَّب، تضرَّب، وتضارب، واضطرب، لأنه يتناول التغيير الذي يصيب صيغة الكلمة وبنيتها، لإظهار ما في حروفها من أصالة أو زيادة، أما القسم الثاني فهو تغيير الكلمة عن أصلها من غير أن يكون ذلك التغيير دالا على معنى طارئ على الكلمة، نحو تغيير قَوَل إلى قال، وهذا التغيير منحصر في النقص، والقلب، والإبدال، والإدغام، والإعلال.

2-ميدان علم الصّرف:

ينحصر مجال علم الصرف في الأفعال المتصرفة والأسماء المتمكنة وهي الأسماء المعربة، فيدرس بنيتها وقواعد تصريفها إلى أوجهها الممكنة، أما دون ذلك من الحروف كحروف الجرّ والعطف، والأسماء المبنية على غرار أسماء الشرط وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة والضمائر، والأفعال الجامدة كنعم وبئس، فإن علم الصرف لا يختص بها ومنصرفٌ عنها، لأنها أبنية تلزم صيغة واحدة وغير خاضعة للاشتقاق لأنها لا تتولد عنها صيغ أخرى ذات دلالات جديدة.

3-نشأة علم الصرف:

درسَ علماء العربية مباحث النحو مع مباحث الصرف، حيث كانت الدراسة مختلطة لأن علوم العربية لم تنفصل في بادئ أمرها، ولم تَتَحدّد فُصُولها ومباحثُها، وبعد أن نشطت حياة

التأليف والحركة العلمية عند العرب، اتجهت الدراسات نحو التخصيص، فأخذت هذه العلوم تنفصل بعضها عن بعض، فنشأت الدراسات النحوية الصرفة والدراسات الصرفية الصّرفة بمرور الزمن، أما بخصوص التأريخ لنشأة علم الصرف كدرس قائم بذاته، فقد اختلفت الآراء حدّ التضارب حول واضع هذا العلم.

أشار ابن فارس في كتابه الصاحبي إلى أن العرب قد عرفت الصّرف منذ القدم، وربط آخرون نشأة علم الصرف للمرة الأولى بمُعاذ بن جبل، وهو ما نفاه السيوطي، لأن تدوين علوم العربية كان بعد وفاة معاذ بزمن طويل، ويقول الرأي الثالث بأن هذا العلم بدأ على يد علي بن أبي طالب الذي فطن إلى الخطأ في أبنية بعض الكلمات فوضع باباً أو بابين في البناء، في حين ربط آخرون هذا العلم بأبي الأسود الدؤلي بحكم أنه واضع علم النحو، بينما رجّحت الكثير من الدراسات أن يكون معاذ بن مسلم الهراء (ت 187هـ) هو من وضع علم الصّرف، لأنه أول من جعل من الصرف علما مستقلا.

الدرس الثاني: علاقة علم الصّرف بعلم النحو

يقول الإشبيني: وقد كان ينبغي أن يُقدّم علم التّصريف على غيره، من علوم العربية، إذ هو معرفة ذوات الكلم، في أنفسها، من غير تركيب، ومعرفة الشيء في نفسه، قبل أن يتركب، ينبغي أن تكون مقدمة على معرفة أحواله التي تكون له بعد التركيب.

1-تعريف النحو:

لغة:

النحو مصدر مشتق من الجذر (ن ح ا) والذي يفيد معان عدة أبرزها قصد، ذكر في لسان العرب: والنَّحوُ: القصدُ والطريق. ونحاه ينحوه وينحاه نحواً وانتحاهُ:

- القصد: نحا إلى الشيء.
- اقتفاء الأثر: ينحو نحوه.
- الالتفات: نحا بصره.
- الإزالة: نحاه عنه.

اصطلاحا:

أما اصطلاحا، فيقصد بالنحو انتحاء سمت كلام العرب؛ أي أن ينحو المتكلم في كلامه طريقة العرب في الكلام وفي الإبانة عن المعاني من حيث الرفع والنصب والجر والجزم في الجملة، يقول ابن سارج: النحو إنما أريد به أن ينحو المتكلم إذا تعلم كلام العرب، وهو علم استخرجه المتقدمون فيه من استقراء كلام العرب، حتى وقفوا منه على الغرض الذي قصده المبتدئون بهذه اللغة، فعلم النحو إذن يبحث في أصول أواخر الكلم من جهة الإعراب والبناء، يعرفه الشاطبي بقوله: وأصل النحو في اللغة القصد، وهو ضد اللحن الذي هو عدول عن القصد والصّواب، والنحو قصد إليه، وفي الاصطلاح علمٌ بالأحوال والأشكال التي بها تدل ألفاظ العرب عن المعاني، أو أنه علمٌ بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب.

2-نشأة علم النحو:

كان اتساع رقعة الدولة العربية بعد الاسلام واختلاط العرب بغيرهم بغرض الفتوحات سببا في تسلل اللحن إلى ألسنتهم، فبعد أن كانوا ينطقون بالسليقة وفي غنى عن أي قواعد يضبطون عليها ألسنتهم اضطروا بعد أن لاحظوا تفشي اللحن بينهم إلى وضع قواعد يعصمون بها اللسان العربي عن الوقوع في الخطأ. أشارت الكثير من الدراسات إلى أن البداية كانت علي يد أبي الأسود الدؤلي بعد أن سمع أحدهم يلحن في الآية القرآنية ﴿أنَّ اللهَ بريء من المُشركينَ ورَسُولهُ﴾ بكسر اللام في رسولِه، فقال ما ظننتُ أمر الناس يصل إلى هذا.

3-علاقة علم الصرف بعلم النحو:

يمكن أن نخلص بناء على ما تقدم إلى التصنيف التالي:

علم الصرف يهتم بأحوال الكلمات في أنفسها	يهتم علم النحو بضبط أواخر الكلمات حسب موقعها في الجملة
يبحث علم الصرف في التغيير الذي يلحق بنية الكلمة بعيدا عن حرف الإعراب	يبحث علم النحو في حركة الحرف الأخير وتحديد نوعها، وهل هي حركة إعراب أو بناء

- وبناء على ذلك يمكن أن نبين ارتباط علم الصرف بعلم النحو في أن معرفة الوظيفية النحوية للكلمة في الجملة مرتبطٌ بمعرفة البنية الصرفية للكلمة التي قبلها.

- يفيد الصّرف في معرفة بعض المسائل النحوية فورود الفعل بصيغة المبني للمجهول يستدعي في الجملة نائبا للفاعل عوض الفاعل، مثال: حُضِرَ الدّرسُ
- إن التمييز بين الأفعال من حيث التعدي واللزوم يُمكّن من صياغة الجمل على نحو سليم، حيث يتوجب في الحالة الأولى إيراد مفعول به، بينما يُكتفى في الحالة الثانية بالفاعل، مثال:

  غابَ الطالبُ

  حضَر الطالبُ الدرسَ
- يفيد النحو من الصرف في استساغة بعض الأبنية وعدم قبول البعض الآخر عند توزعها في الجملة، مثل: زيدٌ ذكي ناجح، ولا نقول زيدٌ ذكي نجح.

الدرس الثالث: علاقة علم الصرف بالفنولوجيا

تتكون اللغة من الناحية الصوتية بوصفها كلمات وجمل من قائمة محددة من الأصوات، غير أنّ وصف هذه الوحدات على أنها كيانات مستقلة لا تخرج عن كونها عملية تجريدية لوصف العناصر الشكلية للكلمة، لأن توزع الأصوات في الكلمة وفي الجمل تحكمه قواعد وأصول معينة كظاهرة الإدغام والحذف والقلب التي قد تحدث في بعض المقاطع لتجاور بعض الأصوات ببعضها.

1-مفهوم الفنولوجيا:

لا بد في البداية من التمييز بين الفونيتيك (la phonétique) أو علم الأصوات العام، كفرع من فروع علم اللغة، والذي يُدرس فيه الصوت اللغوي دراسة علمية باستعمال أجهزة مخبرية دقيقة الغرض منها وصف كيفية إنتاج الصوت اللغوي وتحديد خصائصه، كما ويحدد عملية إنتاج وتلقي الصوت اللغوي، وقد شرح دو سوسير في محاضراته مراحل إنتاج الصوت وبيّن كيفية إحداث الأصوات من خلال اندفاعها من فم المتكلم ثم انتقال الأصوات في الهواء على شكل ذبذبات حتى تصل إلى آلة التقاط الصوت وهي أذن السامع، لتصل في الأخير إلى الذهن بوصفه مركز الإدراك.

أمّا في الدراسات اللغوية القديمة عند العرب فقدم الخليل درسا دقيقا للأصوات اللغوية مُحدّدًا مخارجها وصفاتها، وبين الفنولوجيا (la phonologie) أو علم الأصوات الوظيفي بوصفه علما يدرس الصوت اللغوي الوظيفي (الفونيمات) وبدائلها الصوتية وتوزيعها في الكلمة، كاختلاف درجات الصوت الواحد في بعض الكلمات، فصوت الغين والراء تمييزيان في اللغة العربية ذلك لأن توزعهما في المقطع نفسه يولد كلمتين جديدتين هما راب وغاب، في حين أنهما في اللغة الفرنسية أداءان لصوت واحد، لأن النطق بـ r في Paris (غينا أو راء) لا يؤدي إلى تغير في دلالة الكلمة.

2-علاقة علم الصرف بالفنلوجيا:

على الرغم من استقلال علوم اللغة بعضها عن بعض، كأن يختص علم النحو بأحول الكلم وهي في التركيب، وينحصر علم الصرف في تبحّث أوضاع الكلمة، ويفرد علم الأصوات بنوعيه لدراسة الأصوات اللغوية، غير أن التداخل بين علوم اللغة ومباحثها أمر لا يمكن نفيه، فعلى سبيل المثال يتعذر دراسة موضوعات في الصرف وتفسير بعض الحقائق فيها دون التسلح بمعارف صوتية، لأنّ الدرس الصرفي العربي محشو بالمسائل والأمثلة التي لا يمكن تفسيرها دون العودة إلى الظواهر الصوتية التي تنتظمها الكلمة، تحديدا في باب الإدغام والذي يستدعي التعرف على الحالات التي يسمح فيها الإدغام في الكلمة والحالات التي يقبل فيها أو لا يقبل، والحروف التي ينبغي استبدالها استثقالا، وفي باب الحذف والقلب كظاهرة التقاء الساكنين (صامت_صامت) الذي لا يقبله الترتيب المقطعي في اللغة العربية، وفي ذلك يقول تمام حسان: فسيبويه كان على وعي تام بأن دراسة الأصوات مقدمة لا بد منها لدراسة اللغة، وأن النظام الصوتي ضروري لمن أراد دراسة النظام الصرفي.

المراجع:

- ابن سراج: الأصول في النحو
- ابن عصفور الإشبيلي: الممتع في التصريف
- ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها
- ابن منظور: لسان العرب
- تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها
- راجي الأسمر: المعجم المفصل في علم الصّرف
- سيبويه: الكتاب
- محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي